البلاغة العربية

البلاغة لغة:- وصول المعنى إلى ذهن المتلقي وانتهائه والبلاغة اصطلاحا:- نعني بها فناً مرة وعلماً مرة أخرى .

والبلاغة كفن وعلم عندما تكون صفة للكلام المعبر الجميل، والكلام البليغ هو الكلام المعبر الجميل الذي يعبر عن المعنى بدقة ويؤثر في المتلقي ويجعله يستجيب إليه، فتعتبر البلاغة صفة لكلام المنشئ.

والعلاقة بين البلاغة والفصاحة كبيرة حيث أن الكلام لا يكون بليغاً إلا إذا كان فصيحاً، فالفصاحة تتعامل مع الألفاظ بينما البلاغة تتعامل مع المعاني وليس كل كلام فصيح هو بليغ وذلك لأن الكلام الفصيح يجب أن يحوي أسلوباً وبعد ذلك نطلق عليه اسم البلاغة. والفصاحة شرط في البلاغة ولكن البلاغة ليست شرطا في الفصاحة.

وقد عُرِفت البلاغة تعريفات عدة منها عندما سُئل ابن المقفع ما البلاغة فقال هي اسم جامع لمعان يجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة والايجاز هو البلاغة (يراجع الكتاب المقرر 13-14)

وكل التعريفات لا تحيط بمعنى البلاغة بل تمس جوانباً منها . حتى نصل إلى ما يرويه الجاحظ عن إجابة عمرو بن عبيد(ت 144هـ) عندما سالع سائل فقال له ما البلاغة فأخذ يجيبه والسائل يقول ليس هذا أريد حتى قال عمرو (فكأنك إنما ترى تخير اللفظ في حسن الإفهام) فقال السائل نعم واستمر ابن عبيد بكلامه ، ولعل ما قاله ابن عبيد هو أول استخدام لكلمة البلاغة بمعناها الدقيق كمصطلح فني بالرغم من أنه نحا في إجابته منحى دينيا على رأي الدكتور شوقي ضيف .

وعرفها ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة بأنها إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ . حتى استقر تعريف البلاغة بأنها (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)

س/ ما المقصود بمطابقة الكلام لمقتضى الحال؟

ج/ المراد بذلك هو الملاءمة بين الأسلوب الذي يستعمله المتكلم في كلامه والموقف الذي يقال فيه الكلام فقد قيل لكل مقام مقال . وقد أوضح السكاكي في كتابه مفتاح العلوم ذلك بقوله (إن مقامات الكلام متفاوتة ــ يراجع الكتاب المقرر 18ــ الذي فيه كلام السكاكي

فالاختلاف بالأحوال والمقامات يستدعي اختلافا في الكلام الذي يقال فيها لاختلاف الدواعي والمناسبات . وتكون البلاغة هي الملكة التي يقتدر بها على مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ويكون علم البلاغة هو العلم الذي يدرس كيفية هذه المطابقة.

علم البلاغة :- تحدثنا في الصفحات السابقة عن البلاغة بصفتها فناً وهنا سنتحدث عنها بصفتها علما . فالبلاغة علم هو العلم الذي يدرس كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ويهدي إليه أي جانب نقدي فالبلاغة هي أداة من أدوات النقد الادبي ونحن عندما نقوم بنقد ادبي نكون بحاجة إلى البلاغة لانها تمكننا من معرفة هل أن الكلام مطابق لمقتضى الحال وهل هو فصيح ؟ وهذه هي العلاقة بين النقد والبلاغة ، فالنقد بأبسط تعاريفه هو بيان المحاسن والمساوئ فعند تأملنا لنص ادبي ووجدناه غير مطابق لمقتضى الحال فهذا يؤدي إلى إيجاد خلل في النص وهذا يُعد من مساوئ النص .وقد كانت الملاحظات والتعليقات تعتمد على الذوق والثقافة ثم تطورت الجلسات والندوات وتبلورت في قواعد ومقاييس والفت الكتب الكثيرة في البلاغة . وقد ورد مصطلح البلاغة عند ابي هلال العسكري (ت395هـ) في كتابه الصناعتين .وقد تقاسمت هذا العلم ثلاثة علوم (المعاني والبيان والبديع) تراجع تعريفات العلوم في الكتاب ص22 .

ولم يتميز علم المعاني عن علم البيان إلا في القرن الخامس الهجري على يد عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ أو 474هـ) .

دوافع نشوء علم البلاغة:-

1- الدافع الديني : القرآن الكريم هو دستور المسلمين في دينهم ودنياهم وتميز القران بأعلى درجات البلاغة وذلك بإعجازه فكان الوقوف على اسراره البلاغية التي يقدمها علم البلاغة هو السبيل إلى الوقوف على تعاليمه والسبيل للوقوف على اعجازه فكان للإعجاز القرآني وبراعة تراكيبه وأسلوبه البلاغي المميز أحد الأسباب التي دفعت للوقوف على علم البلاغة والاهتمام به .

2- الدافع التعليمي: لاختلاط العرب بالأمم المفتوحة ظهر اللحن باللغة العربية واستحداث المناصب في الدولة والتي لتسنمها العربي وغير العربي ولكي يؤهل الطامح إلى مناصب الحكم كان لابد أن يتعلم علوم العربية ومنها علم البلاغة .

3- الدافع النقدي: لا يبتعد كثيرا عن الدافع التعليمي فهذا يعنى بوضع القواعد والمقاييس التي تعين المتأدب والأديب في الوصول إلى حسن التعبير وجودة الأداء .

الفئات التي أسهمت في نشوء علم البلاغة:-

1- المتكلمون : وهم المشتغلون بعم الكلام وهو علم التوحيد ويراد به البحث في العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية .

واهتم علماء الكلام بالبلاغة لأكثر من سبب

1- قضية الاعجاز القرآني وجاء ارتباطها بالبلاغة من أن أحد أهم وجوه اعجاز القران هو وجهه البلاغي فقد طرحت الكثير من الآراء والفت الكثير من الكتب .

2- علم البلاغة أحدى أهم الوسائل التي يفيد منها علماء الكلام في شرح ارائهم والدفاع عنها

3- ايمان المعتزلة :وكانت هذه الموجة الاعتزالية أكبر قوة فاعلة في تطور البلاغة حفظ أسماء المؤلفين وكتبهم في هذه الفئة .

2- المفسرون: ومشاركتهم في نشوء علم البلاغة لما لتعرضوا له في القران الكريم وبيان غامضه حفظ للمؤلفين ومؤلفاتهم .

3- الأصوليون: وهم مستنبطو الفقه الإسلامي وسنة النبي (صلى) ومجال بحثهم هو أصول الفقه ولا غنى لهم في ذلك عن التعرض للمسائل البلاغية في علومها (المعاني والبيان والبديع) حفظ لأسماء المؤلفين ومؤلفاتهم .

4- اللغويون والنحاة: كان لهؤلاء اسهامات ملحوظة في البلاغة العربية نشوءاً وتطويراً وكان اسهامهم ملموساً من خلال رواياتهم للنصوص الأدبية ومدارستهم لها واحتكاكهم بها لاستنباط القواعد ووضع المقاييس بتحليل النصوص ودراسة الأساليب فقد أبدوا الملاحظات وطرحوا الآراء بل أن بعضهم الف كتاباً في فن بلاغي معين وهو الاصمعي في كتابه الاجناس حفظ مؤلفات هذه الفئة .

الشعراء: كان للشعراء نصيبهم في هذا المجال فكانوا يبدون اراءهم في غيرهم من الشعراء حاكمين على شعرهم عامة حفظ مؤلفات هذه الفئة .

الكتّاب: تطورت الكتابة مع تطور الحياة وكان للكتاب مكانتهم في المجتمع وتأثيرهم في البلاغة وقد مر بنا قول ابن المقفع عن البلاغة . حفظ مؤلفات هذه الفئة .

مدرستان بلاغيتان:

ملاحظة: حفظ مميزات كل مدرسة مع حفظ أسماء المؤلفين وكتبهم